سلاسل نافعة

٧

سلالة في

حكم الثقة بالنفس

منقول من التسجيل الصوتي للشيخ الدكتور

صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الخزانة العصيمية

محفوظة كل الحقوق

لا يسمح بطبعه للأغراض التجارية
أو ترجمته أو اختصاره دون موافقة خطية

الإبرازة الأولى
١٤٤٦

للإعلام بخطأٍ طباعيٍّ أو الاستدراك أو إبداء رأيٍ؛
يُرجى المراسلة على البريد الآتي : aqlamosaimi@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ذكر الحنابلة جملة (الثِّقة بالنَّفس) في موضعين:

أحدهما: في باب الوتر، فيقولون: «وجعلُه آخرَ اللَّيل لِمن يثق بنفسه أفضلُ» [1].

والآخر: في باب إخراج الزَّكاة، وأنَّ الأفضل أن يدفعها مُخرِجها لمستحقِّها، قالوا: «فإن لم يثق بنفسه دفعها إلى السَّاعي» [2] أي إلى الَّذي يجمع الزَّكاة نائبًا عن وليِّ الأمر.

واستعمال هذه الجملة (الثِّقة بالنَّفس) مهجورٌ في الكتاب والسُّنَّة وكلام السَّلف الأوائل؛ بل في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخرَّج عند النَّسائيِّ في «سننه الكبرى» بسندٍ حسنٍ: «**وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي**

---

(١) انظر: «منتهى الإرادات» ١/ ٢٦٤، و«غاية المنتهى» ١/ ١٩٦، و«الرَّوض المربع» ١/ ٣٠٢، و«الرَّوض النَّدي» ص ٨٩، و«الفوائد المنتخَبات» ١/ ٢٤٥.

(٢) انظر: «الرِّعاية في الفقه» ١/ ٤٤٣، و«الممتع في شرح المقنع» ١/ ٧٦٤، و«معونة أولي النُّهى» ٣/ ٢٩٤، و«مطالب أولى النُّهى» ٢/ ١١٩، و«حاشية اللَّبدي على نيل المآرب» ١/ ١٢٨.

طَرْفَةَ عَيْنٍ»[1] إشارةٌ إلى براءة الإنسان من حَوله وقوَّته المتولِّدَين من ثقته بنفسه، فالعبد في هذا الذِّكر يدعو الله ألَّا يكله إلى نفسه، ولو قدر اللَّحظة القصيرة من إغماضة عينٍ وانفتاحها، إذ لا قدرة له على تحصيل مصالحه إلَّا بعونٍ من الله عَزَّوَجَلَّ، فنفس الإنسان أعدى عدوِّه، وهي ضعيفةٌ لا تُغني عنه شيئًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝﴾ [النِّساء: ٢٨]، فهو ضعيفٌ في بدنه، وضعيفٌ في روحه ونفسه، فكيف يركن إلى الضَّعيف ويجعل لنفسه في نفسه ثقةً؟!

وكم من إنسانٍ ظنَّ أنَّه يرتفع إلى مقاماتٍ عظيمةٍ باللُّجوء إلى نفسه فخُذِل، فلا غنى للإنسان عن هِبات ربِّه عَزَّوَجَلَّ وإعانته وهدايته، ومن ظنَّ أنَّه يستغني عن إعانة الله قدر أُنملةٍ هلك، فبارت حاله، وفسد أمره، ولم تُقضَ حوائجه.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ[2]

---

(١) أخرجه النَّسائيُّ في «سننه الكبرى» (١٠٣٣٠)، من حديث أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) نسبه التَّنُوخيُّ في «الفرج بعد الشِّدَّة» ١/ ١٦٦ والرَّاغب الأصفهانيُّ في «محاضرات الأدباء» ١/ ٥٣٢ إلى عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال شيخنا وَفَّقَهُٱللَّهُ في =

ولِما ذكرتُ؛ ذهب شيخ شيوخنا محمَّد بن إبراهيمَ آل الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى عدم جواز قول: (تجب الثِّقة بالنَّفس)، فإنَّه في تقريره على «الحمويَّة» سُـئِل: هل تجب الثِّقة بالنَّفس؟ فقال: «لا تجب، ولا تجوز الثِّقة بالنَّفس» [1]، ثمَّ استدلَّ بالحديث الَّذي ذكرناه، ودلالته على المنع ظاهرةٌ؛ لِما فيه من البراءة من وَكْل العبد إلى نفسه، وهذا يبطل الثِّقة بها.

وذهب شيخنا ابن عثيمينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الجواز، رادًّا مأخذ القول إلى رعاية ما يجده العبد من قدرةٍ واستطاعةٍ تمكِّنه من بلوغ مطلوبه، مع عدم الاعتماد عليها اعتمادًا يقطع القلب عن ربِّه [2].

والَّذي يظهر وَٱللَّهُ أَعْلَمُ أنَّ القائل بالمنع اعتبر معنًى، وأنَّ القائل

= شرح «تعظيم العلم»: هو بيتٌ سيَّارٌ لا يُعلَم قائله تحقيقًا، ولا يُعرَف من وجهٍ موثوقٍ أنَّه من شعر عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(١) «فتاوى ورسائل الشَّيخ محمَّد بن إبراهيمَ آل الشَّيخ» ١/ ١٧٠، وفي تتمَّة جوابه: «من يقوله؟! أخشى أنَّ هذا غلطةٌ منك - أي من السَّائل- ، لا أظنُّ أنَّ إنسانًا له عقلٌ يقول ذلك، فضلًا عن العلم».

(٢) انظر: «فتاوى إسلاميَّةٌ» - جمع وترتيب: محمَّد المسند - ٤/ ٤٨٠.

بالجواز اعتبر معنًى.

فالَّذي قال بالمنع اعتبر الباطن ونظر إليه؛ لأنَّ حقيقة الثِّقة أمرٌ باطنٌ في العبد، ولهذا كانت الثِّقة - كما ذكر ابن القيِّم - خلاصةَ التَّوكُّل ولُبَّه [1].

والَّذي قال بالجواز اعتبر الظَّاهر ونظر إليه، وهو وجود القدرة والاستطاعة، الَّتي يتوقَّف على وجودها العمل، ويقوى بوُفورها الأمل.

وإذا اعتبرنا هذين المعنيين في المنع والجواز؛ تبيَّن لنا أنَّه لا يُطلَق القول بمنعها، ولا يُطلَق القول بجوازها؛ **فالثِّقة بالنَّفس نوعان:**

◈ **أحدهما**: ثقة سكونٍ؛ وهو أن تسكن نفسُ العبد إلى ما لديه من استطاعةٍ وأسبابٍ.

◈ **والآخر**: ثقة ركونٍ؛ وهو كمال تعلُّق العبد بنفسه وثوقًا بقواها، تعلُّقًا يذهل معه عن التَّوكُّل على الله عَزَّوَجَلَّ واتِّخاذ الأسباب أسبابًا.

---

(١) «مدارج السَّالكين» ٢/ ٤٣٠.

فالأوَّل جائزٌ؛ لأنَّ الأسباب مأذونٌ بها، مأمورٌ باتِّخاذها، وقد جعل الله للعبد قدرةً واستطاعةً يحصِّل بها مصالحه.

والثَّاني حرامٌ؛ لمخالفته دلائل الشَّرع في خلع العبد نفسَه من النَّظر إلى قدرتها، والاغترار بقوَّتها، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نتجرَّد من قوانا، وأن نتوكَّل عليه، ونستعين به، ونُظهِر عجزنا له، واحتياجنا إليه، فالَّذي يَسلم منَّا هو المستعين بالله، والَّذي يهلك هو المغرور بقواه.

ويُحكَم على استعمال هذه الجملة في كلِّ مقامٍ بما يدلُّ عليه السِّياق.

والشَّائع في ألسنة المتكلِّمين في تنمية الذَّات، والاعتداد بالقُوى والقدرات، أنَّهم يُطلقونها ويريدون المعنى الثَّاني؛ لأنَّ عامَّة ما لديهم مأخوذٌ عن قومٍ ليسوا بمسلمين؛ فاستعمالهم لها حينئذٍ ممنوعٌ.

وإذا استعملها أحدٌ باعتبار المعنى الأوَّل المتقدِّم ذكره؛ فالَّذي يظهر جوازها فيه، وَٱللَّهُ أَعْلَمُ.

والأفضل ترك استعمال هذه الكلمة؛ لهجرها في القرآن والسُّنَّة وكلام السَّلف.

فإن قال قائلٌ: المقصـــود من قولها هو تقوية العزائم، وحثُّ النَّفس على الغنـائم، بـإدراك المقـامـات العـاليـة، والإقـدام على المراتب السَّامية.

قيل له: هذا مقصـــدٌ صـــحيحٌ، ومرادٌ مليحٌ، لكنَّ الأولى ترك الإرشـــاد إليه والدَّلالة عليه بهذه الجملة؛ لأنَّ **الحكم على الألفاظ يكون بـاعتبـار ظواهرهـا، لا بـاعتبـار بواطن المتكلِّمين**، فبواطن المتكلِّمين بينهم وبين ربِّ العالمين، وعلى المتكلِّم أن يأتي بلفظٍ لا محـذور فيـه، يكون ســـالمًـا من الإعلال والإخلال، فيقول - مثلًا -: اشـــدُد عزمك، وانهض بهمَّتك، وكن ذا عزيمةٍ ماضـــيةٍ وهمَّةٍ سامقةٍ، وأشباه هذه الكلمات.

والمصنِّفون في فضائل الأعمال أوعبوا في جمع دلائل الكتاب والسُّنَّة الدَّاعية إلى بعث النُّفوس إلى الأعمال النَّافعة، وفي خطاب الشَّـــرع من الحقائق الزَّاهية، ما يُغني عن هذه الاصـــطلاحات الواهيـة، فـإنَّ (القوَّة) من أعظم الموارد الَّتي كُرِّرت في القرآن والسُّـنَّة للحثِّ على ما ينفع، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَـٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]، وقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَـٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣]، وفي

«صحيح مسلمٍ» من حديث عبد الرَّحمن بن هُرْمُزٍ الأعرج، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ**»[1]، ومن قوَّة المؤمن: قوَّة نفسه، وتكون بالتَّوكُّل على الله، وتحريك الهمَّة إلى بلوغ رضاه، وعند أبي داودَ: «**أَصْدَقُ الأَسْمَاءِ: حَارِثٌ وَهَمَّامٌ**»[2]، وهو حديثٌ حسنٌ بشواهده، فمن صِدق كون الإنسان همَّامًا: أن تكون له نفسٌ طامحةٌ إلى المعالي، فيما ينفع من العلم والعمل والدَّعوة والإرشاد والإصلاح.

ولمَّا كان النَّاس مستغنين بالكتاب والسُّنَّة؛ كانت هذه الحقائق منشورةً أعلامُها، فلمَّا انتشر فيهم الإقبال على الكتب المترجمة من حضارات الشَّرق والغرب وأديانهم؛ فشت فيهم هذه المصطلحات الَّتي روَّج لها من روَّج، ممَّن قَصُر علمه، ولم تَكمُل معرفته بحقائق النُّفوس، وما تصلح به، فصارت منتشرةً شائعةً، ولو قوي تمسُّك النَّاس بالكتاب والسُّنَّة؛ لَما عوَّلوا على هذه

---

(١) أخرجه مسلمٌ (٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أبو داودَ (٤٩٥٠)، من حديث أبي وهبٍ الجُشميِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الألفاظ، وما تضـمَّنته من المعاني، ولرأوا أنَّ تركها من كمال التَّوحيد [1].

(١) مستلٌّ - بتصرُّفٍ - من:

- شرح «العمدة في الأحكام» للحافظ عبد الغنيِّ المقدسيِّ.
- تطريز «الوسائل المفيدة للحياة السَّعيدة» للعلَّامة ابن سعديٍّ.
- تطريز «أسماء الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعانيها» للعلَّامة ابن فارسٍ.
- تطريز «عمل اليوم واللَّيلة» للحافظ ابن حجرٍ.
- شرح «الخلاصة الحسناء في أذكار الصَّباح والمساء» - برنامج تعليم الحجَّاج الثَّاني سنة ١٤٣٤.
- شرح «الخلاصة الحسناء في أذكار الصَّباح والمساء» - برنامج تعليم الحجَّاج الثَّاني سنة ١٤٣٦.
- أجوبة سؤالات برنامج مهمَّات العلم ١٤٣٨.